مصر تعزز مبدأ عدم المصالحة مع الإخوان

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

بعث النظام المصري بمجموعة من الرسائل السياسية التي تؤكد أنه لا شيء تغير مع مبدأ الرفض الصارم لجماعة الإخوان، ومن يفكرون في مصالحة سياسية مع مجيء الرئيس الأميركي الجديد جون بايدن واهمون وحالمون، لأن القضية تتعلق بثوابت نظام يعتبر الخصومة حدّية مع الجماعة، ثوابت يصعب التضحية بها، وأي هزة فيها يمكن أن تتسبب في تفسخ بعض المعايير التي يستمد منها قوته.

أكد إلقاء أجهزة الأمن خلال الأيام الماضية القبض على عدد من رجال الأعمال المحسوبين على الجماعة بعد أن ظلوا طلقاء، أن مبدأ الرفض لا يزال مستمرا، بما يدعم فكرة أن المواجهة لن تتوقف لأي سبب، وأن هناك الكثير من الأوراق التي يملكها النظام في جعبته وينغّص بها على الجماعة في يقظتها ومنامها.

جاءت الرسائل التي بعث بها الرئيس عبدالفتاح السيسي أثناء زيارته إلى فرنسا التي اختتمت الأربعاء، لتعزز مبدأ عدم التغيير في التعاطي مع الجماعة، بل على العكس هناك تحركات حثيثة لكشفها أمام من وثقوا بها وراهنوا عليها في الخارج على أنها تمثل تيارا "معتدلا" يقف في مواجهة المتشددين، وهي الفرية التي أجادت ترويجها على مدار سنوات، وضمنت لها دعما غربيا سخيا.

وجدّد التثمين المصري المشروط للمصالحة الخليجية مع قطر مبدأ الرفض ووضعه في مكانه المركزي، حيث تأكد أن جزءا من المشروطية تحدده الاستجابة لمطالب الدول العربية التي قاطعت الدوحة، وفي مقدمتها "الاستتابة" ومراجعة جملة المواقف التي تبنتها لدعم الإخوان والجماعات المتطرفة في المنطقة، والتخلي عن تحول الأراضي القطرية إلى ملاذ لهم، ومنع استهداف الدول بأي وسيلة.

القاهرة وحلفاؤها نجحوا في رفع الغطاء عن جزء من الالتباسات السياسية على دول أوروبية، وتم نزع ورقة التوت عن الإخوان بوصفها أداة تستطيع المحافظة على مصالح الدول الغربية في مصر

قطعت هذه التوجهات حديث الإفك أو المصالحة التي تصورت الجماعة أنها قادرة على فرضها بشروطها، في ظل توهم قيادات كثيرة بأن هناك دعما نوعيا ستتحصل عليه من الولايات المتحدة مع دخول بايدن البيت الأبيض، أو بعد أشهر قليلة من ذلك، وهي مزاعم حاول الترويج لها القيادي الإخواني إبراهيم منير مؤخرا.

كشفت ردود الفعل التي تلت الإشارات المصرية الحادة أن خطاب القاهرة تغيّر في التعامل مع الجماعة وبات يتبنى موقفا هجوميا، ولا يقتصر على رد الفعل، كما حدثت تغيّرات لمؤيدي الإخوان التقليديين أجبرتهم على إعادة النظر في الآليات التي تبنوها سابقا، ووضعت الإخوان ضمن سلة أدوات تستخدم لتنفيذ السياسة الخارجية، بينما ظلت الجماعة على جمودها وكأن السنوات الماضية الحافلة بالتطورات لم تؤثر فيها أو تجبرها على الاستفادة من عبرها ودروسها، ومن ثم قراءة العالم بصورة ديناميكية، وهو ما يجعل المصالحة أبعد من أيّ وقت مضى. فإذا كان الفيتو والممانعة والرفض جرى رسمها عليها في أوج قوة الجماعة، فما بالنا وهي في تراجع.

قصدت مصر الساحات التي وفرت مأوى وحاضنة للإخوان وضربت فيها بعمق لتكسير مفاهيم زائفة اعتمدت عليها، من نوعية أنها جماعة سياسية ديمقراطية تتصدى للعنف، وتيقنت دول كثيرة أنها أحد أهم مصادر العنف الذي يتبناه الخط الجهادي في العالم، ولم تعد تنطلي عليها الحجج التي سوقتها الجماعة حول براءتها من سلاسل الدم التي انتشرت في دول عديدة.

تحول رفض المصالحة إلى توجه عام لا يتعلق بحسابات النظام الحاكم فقط، لكن الشعب أصبح جزءا منه، ومهما بلغت المعاناة من السياسات التي يتبناها على الصعيدين السياسي والاقتصادي ومردوداتها السلبية، فإنه يُحسب له التصدي بقوة للإخوان ومنع استمرار مسلسل من الكوارث كادت تؤدي إلى فوضى، بكل ما تحمله من صراعات.

لن تستطيع القاهرة التخلي عن الرفض لكل ما تتبناه الجماعة من تصورات وممارسات ما لم تقم الأخيرة بمراجعة شاملة لأفكارها العتيقة، وتعلن توبتها عن التقية ومنهج العنف، وكل ما قامت به من خطوات كبّدت البلاد خسائر فادحة، ولأن هذه عملية صعبة لن تبارح مكانها، حيث تدرك أن المراجعة الجادة والناجزة تجعلها تقف عارية أمام مجتمع تعتقد أنه على استعداد للتحرك في الشارع لنجدتها.

كما أن جدول أعمال القوى الرئيسية التي دعمتها دخلت عليه تحولات قللت من فكرة تقمصها دور رأس الحربة للتغيير في المنطقة، ونجحت القاهرة وحلفاؤها في الخليج العربي في رفع الغطاء عن جزء من الالتباسات السياسية على دول أوروبية، وارتفعت شبكة المصالح بين الجانبين بشكل يصعب أن يتجاهله صاحب قرار، وتم نزع ورقة التوت عن الإخوان كأداة تستطيع المحافظة على مصالح الدول الغربية في مصر.

يتزايد التعامل الحاسم مع الإخوان كل يوم، لأن الليونة معهم تضرب الشرعية الرئيسية للنظام المصري التي يستمدها من ثورة 30 يونيو 2013 التي وضعت حدا لحكم الجماعة في القاهرة، وبالتالي فأي توجه في مضمار المصالحة يضرب هذه المسألة في مقتل، وسوف تكون له تداعيات كبيرة على الداخل المصري.

هذه قراءة خاطئة أخرى، لأن الناس إذا قرروا التحرك فلن يكون ذلك لأجل عيون أو خاطر الإخوان، فهناك مشاكل كافية تدفعهم للغضب، غير أن شبح الجماعة يكبل هؤلاء عن الحركة، فأي خطوة في اتجاه إظهار الرفض لسياسات النظام المصري من خلال الشارع سوف يقفز عليها الإخوان، ويحولونها إلى مطية لعودتهم.

يفهم العقل الجمعي هذه المسألة من خبرته في ثورة 25 يناير 2011، حيث ظلت الجماعة صامتة في أيامها الأولى، وعندما تبيّنت الخيط الأسود من الأبيض نزلت بكل ثقلها إلى الشارع، وتمكنت من السيطرة على الكثير من محركاته الناعمة والخشنة، وكانت الأكثر تنظيما وحضورا بما مكنها من قطف ثمار الثورة وحدها، حتى قادها جشعها إلى الانزلاق في فخ التمكين مبكرا.

تبقى مشاهد ثورتي يناير ويونيو حاضرة في ذاكرة المصريين، ما يمثل كابحا لأي مصالحة رسمية يمكن أن تعود معها الجماعة إلى فصولها السابقة، ولذلك فمبدأ الرفض يتكاتف فيه النظام مع شريحة عريضة في المجتمع وفرت له الثبات على فصل الممانعة، وضمنت له شعبية مستمرة، كلما انتقصت بسبب بعض الإجراءات السياسية والاقتصادية ضخت فيها حماقات الجماعة دما جديدا.

تقف الصورة الذهنية القاتمة للإخوان حاليا داخل مصر وخارجها حجر عثرة لعبورها السياسي مرة أخرى، وتضع على عاتقها حملا ثقيلا لتصحيحها، وهو ما يوفر للنظام المصري كافة الحجج لعدم التخلي عن فرض قبضته عليها، ويتشبث بعملية رفض المصالحة، وربما يمعن في المزيد من التطويق خلال المرحلة المقبلة، ليتمكن من سد جميع الثغرات التي تسعى إلى النفاذ منها.

الحالمون بايدن والناقمون على ترامب

بهاء العوام
صحافي سوري

لا يبدو أن الكثيرين خارج الولايات المتحدة مهتمون بمعركة الانتخابات الأميركية المستمرة حتى الآن. رغم أن الرئيس المنتخب جو بايدن لم يفز رسميا، ولم يعترف خصمه الرئيس الحالي دونالد ترامب بالهزيمة.

ثمة عدة ولايات متنازع على نتائجها قانونيا، وفرق من المحامين تعرض جرائم تزوير ارتكبها الديمقراطيون، وتشبه تلك التي تحدث في انتخابات الدول المتأخرة، ولكن كل ذلك لا يهم ولا يؤثر طالما أن أباطرة الإعلام المحلي اعترفوا ببايدن الرئيس السادس والأربعين لبلاد العم سام.

يمثل تنصيب وسائل الإعلام الأميركي الكبرى لبايدن قبل إعلان النتائج رسميا، معركة في إطار حربها المستمرة على ترامب منذ وصوله إلى السلطة في العام 2016. ربما هناك أسباب أو لنقل تصفية حسابات شخصية مع ملياردير العقارات ورجل الإعلانات قبل وصوله إلى البيت الأبيض، ولكن ذلك لا يلغي حقيقة وجود اعتبارات سياسية تتعلق بانقسام البلاد بين الديمقراطيين والجمهوريين وبين اليسار واليمين، أو بتعبير أدق وأكثر تحديدا بين اليمين الشعبوي ونظيره اليساري المتصاعد بسرعة.

اتفقنا أم اختلفنا مع ترامب، فهو يمارس حقه الدستوري في الاعتراض على نتائج انتخابات شابتها تجاوزات واضحة. هناك عشرات الآلاف من الموتى صوتوا لبايدن، عشرات الآلاف أيضا صوتوا مرتين لبايدن، تلاعب في أجهزة تسجيل الأصوات، حقائب من البطاقات المزورة أخرجت بعد إغلاق مراكز الاقتراع، استخدام أسماء أشخاص لم يشاركوا في الانتخابات أو تغيّرت أماكن إقامتهم إلى بلد أجنبي أو ولاية أخرى، تهديد لمن يصوت لترامب أو رشاوى من أجل اختيار خصمه المرشح الديمقراطي.

كل هذه التجاوزات وثقها محامو ترامب، وهم ماضون في كشفها وتغيير نتيجة الانتخابات رغم المعارضة الشديدة التي يواجهونها، ليس فقط من الديمقراطيين ووسائل الإعلام، وإنما من ساسة جمهوريين لا يجدون مصلحتهم في بقاء ترامب رئيسا.

الاحتمالات جميعها تبقى إلى حين مصادقة الكونغرس على فوز أحد المرشحين منتصف يناير المقبل. ولكن بالنسبة إلى أطراف محلية وخارجية لا ضرورة للانتظار، وما يدور في أروقة السياسة الأميركية اليوم هو مجرد مسرحية.

إعلاميا على الأقل، لا تزال تداعيات انتخابات الرئاسة حديث الساعة في الولايات المتحدة، وتجاهل وجودها داخليا أو خارجيا، هو مجرد انتقام من ترامب أو خوف من بايدن. فكما كان هناك من صوّت للمرشح الديمقراطي فقط انتقاما من منافسه الجمهوري، هناك أيضا من يرفض تسليط الضوء على محاولات تزوير الانتخابات لذات الغرض، أو لأنه يخشى نقمة الرئيس المنتخب إن لم ينجح محامو ترامب في مساعيهم، وبدأ عهد جديد في السياسة الأميركية اعتبارا من منتصف يناير المقبل.

هناك أمثلة كثيرة عن الدول والجماعات والأفراد الذين يبحثون فقط عن الانتقام من ترامب، وهم بشكل أو بآخر، أوفر حظا وأكثر منطقية من هؤلاء الذين يراهنون على مشروع بايدن السياسي في الداخل والخارج.

ذلك لأن الناقمين فقط سيرفعون كؤوس نصرهم على ترامب بمجرد دخول خصمه إلى البيت الأبيض، أما الحالمون بمصالح ومكاسب في عهد الرئيس الديمقراطي المنتخب، فعليهم الانتظار لسنوات عدة دون ضمانات، لأن السياسة فعل متغير في الأهداف وفي أدوات تحقيقها وتنفيذها.

المتفائلون بحقبة بايدن في الولايات المتحدة هم في غالبيتهم ينتمون إلى اليسار الذي يتطلع إلى حياة أكثر عدالة في التعامل مع المواطنين في السياسة والاقتصاد، ولكن بينهم من يربط العدالة بسطوة المهاجرين على السكان البيض، ذلك لأن الأقليات برأيهم باتت صاحبة حق في قيادة البلاد بعدما قدمته من إنجازات، كما أنها "أكثر قدرة على العدل" لأنها اختبرت الظلم وعاشت اللامساواة. ناهيك طبعا عن إيمان اليسار المطلق بأن الاشتراكية هي المآل الطبيعي للعالم وأميركا طال الزمن أو قصر.

في الخارج يتوقع الاتحاد الأوروبي أن يسترد في عهد بايدن صدارة قائمة حلفاء أميركا الاستراتيجيين دون أن يضطر إلى المزيد من الإنفاق على ميزانية الناتو. أما الصين فهي تأمل بمرونة أكبر في التعامل مع القضايا العالقة بين البلدين. وبالنسبة إلى الروس فهم لا يتوقعون تصعيدا خطيرا من الرئيس المنتخب رغم يقينهم أن الغرب لم يكن يوما حياديا إزاء قضيتهم، ولكن ترامب أضر بها أكثر من أسلافه في رئاسة الولايات المتحدة، لذلك كان من الطبيعي أن يفرحوا لخسارته بغض النظر عن خصمه الذي يريد حل الدولتين، لكنه كأسلافه لا يفصح عن حدود كل منهما.

الناقمون فقط سيرفعون كؤوس نصرهم على ترامب بمجرد دخول خصمه بايدن إلى البيت الأبيض، أما الحالمون بمصالح ومكاسب في عهد الرئيس الديمقراطي المنتخب فعليهم الانتظار لسنوات عدة دون ضمانات

في الشرق الأوسط أيضا، يراهن الخمينيون والإخوان المسلمون على الرئيس المنتخب من أجل استرداد سطوتهم في المنطقة. ولكن يبدو أن الإدارة الديمقراطية المقبلة للبيت الأبيض ليست مقتنعة بكفاية الاتفاق النووي الإيراني لضمان أمن المنطقة. كما أنها لا تبدو متحمسة كثيرا للتعامل مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الأب الروحي لجماعة الإخوان وملهمها في نظرية العثمانية الجديدة التي ستصهر كل دول المنطقة في بوتقة واحدة تحت راية التنظيم المصنف بالإرهاب في دول عربية عدة.

ربما يحق للخمينيين أن يجمعوا بين النقمة من ترامب والتفاؤل ببايدن في ظل العقوبات الاقتصادية المفروضة عليهم الآن. ولكن ألا يجب أن يحزن الإخوان على ترامب لأنه من نصر "مرشدهم" أردوغان وسمح له بالتمدد في دول المنطقة، والتمرد على الأوروبيين والروس، كما أنه لم يضعهم على قوائم الإرهاب؟ ماذا يمكن أن ينتظروا أكثر من ذلك؟ هل يعقل أن يكون كل هذا التبشير ببايدن نابعا من الرغبة بخصومة أميركية مصرية تُغيرُ وجه المنطقة، كما يحلم نائب مرشد الجماعة إبراهيم منير.

عموما، بين المتفائلين ببايدن والناقمين على ترامب حول العالم، يصطف الكثيرون ممن يفضلون التعامل مع السياسات الأميركية وفقا للموقف والحاجة، وهو خيار واقعي عندما لا تكون العلاقة مع الولايات المتحدة ندية أو ترتبط بقدر كبير من المصالح التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار من الطرفين.

وفي المحصلة، لكل دولة أو جماعة في تبني أي من الخيارات الثلاثة أسباب يمكن تفهّمها شرط مراعاة حقيقتين أساسيتين، الأولى هي أنه لا يمكن اختزال ما يحدث في أميركا بالقول إن رئيسا مجنونا يتمسك بالسلطة، والثانية هي أن البيت الأبيض لم يكن يوما كعبة السلام في العالم.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk